# النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني

### في قبائل العرب المتنصّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليَّة مع الادلَّة على نصرانيَّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريَّة نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. ونصرانيَّتهم مثبتة بنصرانيَّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم. وممن صرّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٩٨) (ed. Houtsma) قال: «وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة». والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول:

ولكنَّ اهل امرئ القيس مشر يحلُّ لهم اكل الحتازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الاوَّل (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانيَّة الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من اقدم القبائل العربيَّة المتنصرة. نقل السيوطي في المزهر (١: ١٠٥) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربيَّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ

لفـادٍ لحق بأُمتها: « ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد اللغة الآراميّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم مـا استعجم (ص ٤٨ ed. Wüstenfeld): « دانت اياد لنسّان وتنصّروا ». وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ id.): « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليها نُسبت ديار بكر. امّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيّة (٣: ٩٥): « من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيّة كما رأيت آنفاً بنصّ السيرة الحلبيّة. وقال اليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨): « تنصر من اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ed. de Goeje,): « انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان: « تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثلهُ الفيروزابادي حيث قـال: « كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيّ ». فترى انّ نصرانيّة بهراء شائعة في التاريخ

٧ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة العدنيّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليّة مقاماً قلما ادركتهُ قبيلة عربيّة اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: « كانت تغلب بن وائل من اشـدّ الناس في الجاهليّة وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس (١) ». وكانت تغلب مع شدّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ يفتخر بشرف ودين نسـاء قومهِ:

قفانن من بني جُشم بن بكر جمعنَ بجيم شرفاً ودينـا

١) اطلب شرح التبريزي لمعلّقة عمر بن كلثوم (ed. Lyall, p. 108)

اما هـذا الدين فكان دين النصرانيَّة كما هو مشهور . والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفـاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزابادي وابن خلكان . وزد عليهـا قول ابن حوقل في المسالك والممالك ( ص ١٨ ) : « نزلوا ( اي العرب ) على خفارة فارس والروم حتى انَّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام » . وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تؤيد الامر ولا تدع ريباً لمستريب . قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء ( اطلب شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠ ) :

وقد زعمت بهراء انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوض الى الدَّمِ . . .

بل لدينا ادلَّة واضحة على ثبوت النصرانيَّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي ( ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩ ) انَّ بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٨ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرَّة بن ادّ من بني مضر العدنانيين وكانوا عـدَّة قبائل ودخلت النصرانيَّة في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيوب ابن قلّام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد . وجاء في التـذكرة الحمدونيَّة ( ص ١٧ و١٨ من نسخة برلين ) في وصاة الحرث بن كعب لبنيـه انَّهُ « بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ واسد بن خزيمة » فجعل النصرانيَّة في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمَّا وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبرقان بن بـدر ومما افتخر به البيعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول ( ص ٩٣٥ ) :

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنـا منَّا الملوك وفينـا تُنصَب البِيَعُ

ومن تميم في الجاهليَّة كان اسقف نصراني يُدعى محمدًا وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

٩ ﴿ تنوخ ﴾ احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فانَّ اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان

١) اطلب حياة محمد لسبرنغر (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, I, 161)

( ص ٤٢١ ) والفيروزابادي في معجمه يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لاسقف التنوخيين (١

١٠ ثعلبة بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيء وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعلية قالهم ثعالب طيء. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكرهم غير مرَّة. واخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف ( ج ١ ص ١٣٥ ) قال: " رُوي انَّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا: يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرضْ لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا اليَّ حجَّاماً. ففعلوا جزَّ نواصيهم ...". ويوجد غير هؤلاء ايضاً عُرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١١ جذام بن مالك بن نصر قبيلة يمنيَّة من الازد كانت تدين بالنصرانيَّة قال صاحب السيرة الحلبيَّة ( ٣:٩٥ ): " من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام " . وكذلك الفارابي في المزهر (١:١٠٥ ) يجعل جذام من النصارى الذين " يقرأون بالعبرانيَّة ". وفي الفتوحات الاسلامية للبلاذري ( ٥٩ و١٣٥ ) والطبري ( ١:٢:١٧٠٢ ) وفي تاريخ ابن بطريق ( طبعتنا ج ٢ ص ١٣ ) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسَّان وكلب ولخم

١٢ جرم بن ريَّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانيَّة قضاعة. وقد مرَّ بك في الباب الثامن من الفصل الاوَّل ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانيَّة في جرم منذ زمن قديم فانَّ السريان ذكروا ديراً ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٢. وقد روى قزما الرحَّالة الهندي في سفره الى الهند انَّ بين الدائنين بالنصرانيَّة في زمانه اي القرن السادس للمسيح كان النبط وبنو جرم (٣

١٣ جرهم نقلنا في جملة آثار النصرانيَّة في مكَّة ما رواه كتبة

---

١) اطلب النخب السريانية (Lagarde: *Analecte Syriaca* p. 128)

٢) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani: BO, II, 41)

٣) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)

العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة. فليراجع

١٤ ﴿ الحذّاء والسمط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها. قال طُخيم بن ابي الطَّخماء الاسدي يمدحهم (الكامل للمبرّد ص ٢٦ ed. Wright):

بنو السمط والحذّاء كلُّ سميدع ... لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أحبهم ... ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٥ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيّة كبيرة تنتسب الى مذحج الى كهلان احتلّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر انّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانيًا فانّنا قد وجدنا في النسخة الخطيّة من التذكرة الحمدونيّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, nos 8359 et 60 ff. 17) ما حرفهُ (١):

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال: يا بنيّ قد اتت عليَّ مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنت نفسي بخلّة فاجر ولا بحتُ لصديق بسرّ ولا طرحتُ عندي موسةً قناعًا ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة. فوتوا على شر بيتي واحفظوا وصيتي والمكم فاتّقوا يكفيكم الهمّ من امورهم ويصلح لكم اعمالكم وايّاكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار. . . فانّ لزوم الخطيّة تفقد البلية »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون: « انّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمّا قصدها ذو نوءاس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على جحود الدين. وبعد ظفر الحبش بذي نوءاس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في الباب المختصّ بنصرانيّة اهل اليمن. وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen, *Skizze*, IV, 8) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدّدها هناك ولم ينبذوا

١) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

دينهم. ومما رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم:

ألا انّنا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحسنى فمُوفوا من الجملِ
ولم ينظروا يوماً الى ذات محرمٍ ولا عرفوا الّا النقيّةَ في العملِ
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناهُ والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المحلي
ونعلمُ ما كنّا ومن اين بدؤنا وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وانّا وان كنّا على مركبة الثرى فارماحنا في عالم النور تستلي
وما صدقتْ لم تخبره وانما رأت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقاماً فاثرت حقيقةَ مسئولٍ وجلّت عن المثلِ

١٦ ﴿ (حمير) اخبار تنصرُها مرّت في باب النصرانيّة في اليمن فعليك بها. وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي: «انّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصّروا».

١٧ ﴿ حنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرّ ذكر تنصُّرهم في اثناء ذكر «النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين» وفقدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلاً على نصرانيّتهم لاشارته الى القربان الاقدس. ومثلهُ قول الآخر:

أكلت ربّها حنيفةُ من جو ع قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرّ ذكرهُ. ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمّداً وتبعهُ اهل اليمامة واستفحل امرهُ وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبهُ وقتلهُ. ومما يدلُّ على نصرانيّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمّد الى ان قال: «اعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيه فضل طهوره فقال: اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتّخذوا مكانها مسجداً ففعلوا». ثمّ يذكر انّ «راهب البيعة هرب فكان آخر العهد به». فذكرُهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيّتهم

١٨ ﴿ الخزرج ﴾ بنو الخزرج كبني الاوس كانوا يسكنون المدينة

ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانيَّة في المدينة)

١٩ ع (ربيعة) هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن نزار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانيَّة الاربع اعني اثار واياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيَّة في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمَّ كتبة العرب اذا ذكروا النصرانيَّة في الجاهليَّة جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروزابادي: «وكانت النصرانيَّة في ربيعة». وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون. فقولهم «انَّ النصرانيَّة كانت في ربيعة» باطلاقه يدلُّ على انَّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيَّة اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فتاهيك بذلك شاهداً على شيوع النصرانيَّة بين العرب (له بقيَّة)

# من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ طور عبدين

لم نُطل الاقامة في ماردين بعد رجوعنا من ديار بكر فاخذنا نستعدّ لسفرنا الى الموصل واذ لم نجد قفلاً اليها على طريق المدن المأهولة اتَّفقنا مع احد المكارين الاكراد ليعدّ لنا الدواب اللازمة فتعهَّد ان يرافقنا الى الموصل. وهؤلاء الاكراد اذا استوثقوا بعهد ثبتوا عليهِ ولم يخونوا بأيمانهم. وكان سيرنا مع هذا الكردي مأمناً لطريقنا لانَّ شذَّاذ الاكراد ولصوصهم لا يتعرَّضون عادةً لمن كانوا في عهدة الواحد منهم. ثم اجدانا هذا المكاري نفعاً اعظم بملازمة خدمتنا في مدَّة تلك المذابح التي كان باشر بها هؤلاء الاكراد باغراء السلطان عبد الحميد

فكان وداعنا لماردين في صباح يوم الخميس ٣١ تشرين الاوَّل. فارقنا للمعارف والاقارب رغماً عمَّا كان يبلغنا من الاخبار المزعجة فكانت الالسنة تتناقل الانباء